سُورَةُ النَّمْلِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧]

القراءات: «بشهاب» قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بتنوين شهاب على القطع عن الإضافة، وقرأ الباقون بترك التنوين على الإضافة.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «بشهابٍ» بتنوين شهاب، وقرئ بترك التنوين على الإضافة، أما قوله تعالى «أو ءاتيكم بشهاب قبس»، فالشهاب: الشعلة والقبس النار المقبوسة، وأضاف الشهاب إلى القبس، لأنه يكون قبسًا وغير قبس، ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلًا، أو صفة لما فيه من معنى القبس.

وقال ابن جرير: واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة «بِشهابِ قَبَسٍ» بإضافة الشهاب إلى القبس وترك التنوين بمعنى، أو آتيكم بشعلة نار أقتبسها منها، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة «بِشِهابٍ قَبَسٍ» بتنوين الشهاب وترك إضافته إلى القبس يعني، أو آتيكم بشهاب مقتبس. والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ، فمصيب، وكان بعض نحويي البصرة يقول: إذا جُعل القبس بدلًا من الشهاب، فالتنوين في الشهاب وإن أضاف الشهاب إلى القبس لم ينون الشهاب، وقال بعض نحويي الكوفة: إذا أضيف الشهاب إلى القبس، فهو بمنزلة قوله «وَلَدَارُ الآخرةِ» مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف اسماه و لفظاه توهمًا بالثاني أنه غير الأول قال: ومثله حبة الخضراء وليلة القمراء ويوم الخميس.

وما أشبهه **و قال آخر منهم:** إن كان الشهاب هو القبس لم تجز الإضافة، لأن القبس نعت ولا يضاف الاسم إلى نعته إلّا في قليل من الكلام، وقد جاء «وَلَدَارُ الآخرة-وَلَلدَّارُ الآخرةُ»، والصواب من القول في ذلك أنّ الشهاب إذا أريد به أنه غير القبس، فالقراءة فيه بالإضافة لأنّ معنى الكلام حينئذ ما بينا من أنه شعلة قبس كما قال الشاعر:

في كـفِّـه صَـعْـدةٌ مُـشـقَّـفَـة فِـيـهـا سِـنـانٌ كـشُـعْـلَـة القَبَس

وإذا أريد بالشهاب أنه هو القبس، أو أنه نعت له، فالصواب في الشهاب التنوين لأن الصحيح في كلام العرب ترك إضافة الاسم إلى نعته وإلى نفسه بل الإضافات في كلامها المعروف إضافة الشئ إلى غير نفسه وغير نعته.

وقال الألوسي: قرئ «بشهاب قبس» بالإضافة وهي إضافة بيانية لما بينهما من العموم والخصوص، كما في: ثوب خز، فإنّ الشهاب يكون قبسًا وغير قبس.

وقال القرطبي: قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «بشهاب قبس» بتنوين شهاب. والباقون بغير تنوين على الإضافة، أي بشعلة نار، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم. وزعم الفرَّاء في ترك التنوين، أنه بمنزلة قولهم: ولدار الآخرة، ومسجد الجامع، وصلاة الأولى، يضاف الشيء إلى نفسه إذا اختلفت أسماؤه. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه محال عند البصريين؛ لأن معنى الإضافة في اللغة ضم شيء إلى شيء، فمحال أن يضم الشيء إلى نفسه. وإنما يضاف الشيء إلى شيء ليتبين به معنى الملك، أو النوع، فمحال أن يتبين أنه مالك نفسه أو من نوعها، و«شهاب بقبس» إضافة النوع والجنس، كما تقول هذا ثوبُ خزٍّ، وخاتم حديد وشبهه. والشهاب كل ذي نور، نحو الكوكب والعود الموقد. والقبس اسم لما يقتبس من جمر، وما أشبهه، فالمعنى بشهاب من قبس. يقال أقبست قبسًا، والاسم قبس، كما تقول: قبضت قبضًا. والاسم القبض. ومن قرأ «بشهابٍ قبس» جعله بدلًا منه. قال المهدوي: أو صفة له، لأن القبس يجوز أن يكون اسمًا غير صفة، ويجوز أن يكون صفة، فإمّا كونه غير صفة، فلأنهم قالوا قبسته أقبسه قبسًا والقبس المقبوس، وإذا كان صفة، فالأحسن أن يكون نعتًا، والإضافة فيه إذا كان غير صفة أحسن، وهي إضافة النوع إلى جنسه كخاتم فضة وشبهه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النَّمل: ١٨]

القراءات: قرأ رويس «لا يَحْطِمَنْكُم» وقرأ الباقون «لا يَحْطِمَنَّكُم».

التوجيه: قرئ «لا يحطمنّكم» بتشديد النون وتخفيفها، وهما لغتان، وقراءة التشديد تدل على قوة وكثرة جنود سليمان بحيث أنّهم إذا وطئوا بأقدامهم النمل لكان التحطيم الشديد للنمل، وقراءة تخفيف النون تدل على عظيم رحمة سليمان وجنوده المؤمنين، فتحطيمهم المخوف - رغم أنه لو حدث لكان من غير شعورٍ منهم - إنما هو وطئ مشفقٍ رحيمٍ يمشي على الأرض هونًا لا تحطيم جبارٍ ظالمٍ عنيدٍ متكبرٍ، فما أحلى القرءان!! وما أجمل اللغة العربية!!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النَّمل: ٢٢]

القراءات: «فمكث» قرأ عاصم وروح بفتح الكاف والباقون بضمها.

المعنى: قال في لسان العرب: المُكث: الإقامة مع الانتظار والتلبُّث في المكان، والاسم: المُكثُ والمِكْثُ بضم الميم وكسرها.

التوجيه: قال في لسان العرب: قال الفراء: قرأها الناس بالضم، وقرأها عاصم بالفتح: فمَكَث؛ ومعنى «غير بعيد» أي غير طويل، من الإقامة. وقال أبو منصور: اللغة العالية: مَكُث، وهو نادر، ومَكَث جائزة وهو القياس، قال: وتَمَكَّث: إذا انتظر أمرًا وأقام عليه.

قلتُ: هما لغتان ومعناهما واحد، وقد يقال - والله أعلم - قراءة «فمكُث» بضم الكاف تدل على شدة أمر الإقامة على هذا الهدهد، فلعلّ ظروف بيئة سبأ لم تكن ملاءمةً له، فحركة الضم أقوى الحركات عند العرب كما ذكرنا غير مرة، وقراءة «فَمكَث» بالفتح

obeikandi.com

تدل على سهولة ويسر هذا المكث على نفسه لكونه في سبيل الله، فإنّ حركة الفتح أضعف الحركات.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

القراءات: «ألّا يسجدوا» قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويس بتخفيف اللام ولهم الوقف اختيارًا على «ألا يا» معًا ويبتدئون باسجدوا بهمزة مضمومة ولهم أيضًا الوقف اختيارًا بالياء على «ألا» وحدها و «يا» وحدها والابتداء أيضًا باسجدوا بهمزة مضمومة.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «ألّا يسجدوا» بتشديد «ألّا»، وبتخفيفها «ألا».

المسألة الأولى- اعلم أن في قوله تعالى «ألا يسجدوا» قراءتان: **أحدهما-** قراءة من قرأ بالتخفيف «ألا» للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف، كما حذفه من قال:

الايا اسلمي يا دار مي على البلى .....

ثانيهما- بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا، فحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة، ويكون المعنى فهم لا يهتدون أن يسجدوا.

قال الشنقيطي: وقرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير الكسائي: «أَلاّ يَسجْدُوا لله»، بتشديد اللام في «أَلاَّ»، ولا خلاف على هذه القراءة أنّ يسجدوا فعل مضارع منصوب بأن المدغمة في لفظة لا، فالفعل المضارع على هذه القراءة، وأن المصدرية المدغمة في لا ينسبك منهما مصدر في محل نصب على الأظهر، وقيل في محل جرّ وفي إعرابه أوجه:

الأوّل- أنه منصوب على أنه مفعول من أجله أي: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من أجل ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾، أي: من أجل عدم سجدوهم لله، أو ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ «لأجل» ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ وبالأول، قال الأخفش: وبالثاني. قال الكسائي، وقال اليزيدي وغيره: هو منصوب على أنه بدل من «أعمالهم»، أي: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، ﴿أَلَّا

﴿يَسْجُدُواْ﴾، أي: عدم سجودهم، وعلى هذا فأعمالهم هي عدم سجودهم لله، وهذا الإعراب يدلّ على أنّ الترك عمل، كما أوضحناه في سورة «الفرقان»، في الكلام على قوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وقال بعضهم: إن المصدر المذكور في محل خفض على أنه بدل من «السبيل»، أو على أن العامل فيه ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾، وعلى هذين الوجهين فلفظة لا صلة فعلى الأول منهما، فالمعنى: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سجودهم لله، وعلى هذا فسبيل الحقّ الذي صدّوا عنه هو السجود لله، ولا زائدة للتوكيد. وعلى الثاني، فالمعنى: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ لأن يسجدوا لله، أي للسجود له ولا زائدة أيضًا للتوكيد، ومعلوم في علم العربية أنّ المصدر المنسبك من فعل وموصول حرفي، إن كان الفعل منفيًا ذكرت لفظة عدم قبل المصدر؛ ليؤدي بها معنى النفي الداخل على الفعل، فقولك مثلًا: عجبتُ من أن لا تقوم، إذا سبكت مصدره لزم أن تقول: عجبتُ من عدم قيامك، وإذا كان الفعل مثبتًا لم تذكر مع المصدر لفظة عدم، فلو قلتَ: عجبتُ من أن تقوم، فإنك تقول في مصدره عجبتُ من قيامك، كما لا يخفى. وعليه: فالمصدر المنسبك من قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ يلزم أن يقال فيه عدم السجود إلا إذا اعتبرت لفظة لا زائدة.

وقد أشرنا في سورة «الأعراف» في كلام على قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]، إلى أنا أوضحنا الكلام على زيادة لا لتوكيد الكلام في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، في أول سورة «البلد»، في الكلام على قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، وسنذكر طرفًا من كلامنا فيه هنا.

فقد قلنا فيه: **الأول**- وعليه الجمهور: أن «لا» هنا صلة على عادة العرب، فإنها ربما لفظت بلفظة لا من غير قصد معناها الأصلي بل لمجرّد تقوية الكلام وتوكيده؛ كقوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [طه: ٩٢ - ٩٣]، يعني أن تتبعني،

وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، أي: أن تسجد على أحد القولين. ويدلّ له قوله تعالى في سورة «ص» ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥]، أي: فوربك، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]، أي: والسيئة، وقوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، على أحد القولين. قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، على أحد القولين. وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ [الأنعام: ١٥١]، على أحد الأقوال الماضية؛ وكقولة أبي النجم:

فما ألوم البيض ألا تسخرا ... لما رأين الشمط القفندر

يعني: أن تسخر، وقول الآخر:

وتلحينني في اللهو ألا أحبه ... وللهو داع دائب غير غافل

يعني: أن أحبه، ولا زائدة. وقول الآخر:

أبى جوده لا البخل واستعجلت به ... نعم من فتى لا يمفع الجود قاتله

يعني: أبى جوده البخل، ولا زائدة على خلاف في زيادتها في هذا البيت الأخير، ولا سيّما رواية البخل بالجرّ؛ لأن لا عليها مضاف بمعنى لفظة لا، فليست زائدة على رواية الجرّ، وقول امرئ القيس:

فلا وأبيك يا ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفر

يعني: وأبيك، وأنشد الفراء لزيادة لا في الكلام الذي فيه معنى الجحد، قول الشاعر:

ما كان يرضى رسول الله دينهم ... والأطيبان أبو بكر ولا عمر

يعني: عمر ولا صلة، وأنشد الجوهري لزيادتها قول العجاج:

في بئر لا حور سرى وما شعر بإفكه حتى رأى الصبح جشر

والحور: الهلكة، يعني: في بئر هلكه، ولا صلة، قاله أبو عبيدة وغيره. وأنشد الأصمعي لزيادتها قول ساعدة الهذلي:

أفعنك لا برق كان وميضه .....

ويروي: أفمنك، يعني: أفعنك برق، ولا صلة، ومن شواهد زيادتها قول الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع

يعني: كاد يتقطع، وما ذكره الفراء من أن لفظة لا، لا تكون صلة إلاّ في الكلام الذي فيه معنى الجحد، فهو أغلبي لا يصح على الإطلاق، بدليل بعض الأمثلة المتقدّمة التي لا جحد فيها كهذه الآية، على القول بأنّ لا فيها صلة، وكبيت ساعدة الهذلي، وما ذكره الزمخشري من زيادة لا في أول الكلام دون غيره، فلا دليل عليه، انتهى محل الغرض من كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب».

وقرأ هذا الحرف الكسائي وحده من السبعة: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بتخفيف اللام من قوله: «أَلَا»، وعلى قراءة الكسائي هذه، فلفظة (ألا) حرف استفتاح وتنبيه، ويا حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا فعل أمر، ومعلوم في علم القراءات، أنك إذا قيل لك: قف على كلّ كلمة بانفرادها في قراءة الكسائي، أنك تقف في قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾، ثلاث وقفات، **الأولى**- أن تقف على ألا. **والثانية**- أن تقف على يا. **والثالثة**- أن تقف على اسجدوا، وهذا الوقف اختبار لا وقف اختيار، وأمّا قراءة الجمهور، فإنك تقف وقفتين فقط: **الأولى**- على ﴿ أَلاَّ ﴾، ولا تقف على أن لأنها مدغمة في لا، **والثانية**- أنك تقف على ﴿ يَسْجُدُوا ﴾.

واعلم أنه على قراءة الكسائي قد حذف في الخط ألفان، الأولى: الألف المتّصلة بياء النداء، والثانية: ألف الوصل في قوله: ﴿ اسْجُدُوا ﴾، ووجه بعض أهل العلم إسقاطهما في الخط، بأنهما لما سقطتا في اللفظ، سقطتا في الكتابة، قالوا: ومثل ذلك في القرءان كثير.

واعلم أن جمهور أهل العلم على ما ذكرنا في قراءة الكسائي من أن لفظة ﴿أَلَا﴾ للاستفتاح والتنبيه، وأن يا حرف نداء حذف منه الألف في الخط، واسجدوا فعل أمر، قالوا: وحذف المنادى مع ذكر أداة النداء أسلوب عربي معروف، ومنه قول الأخطل:

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بكر .....

وقول ذي الرمّة:

ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى .....

فقوله في البيتين: ألا يا اسلمي، أي: يا هذه اسلمي، وقول الآخر:

ألا يا اسلمي ذات الدماليج والعقد.

وقول الشمّاخ:

ألا يا اصحباني قبل غارة ستجالي وقبل منايا قد حضرن وآجالي

يعني: ألا يا صحبي اصحباني، ونظيره قول الآخر:

ألا يا اسقياني قبل خيل أبي بكر

ومنه قول الآخر:

فقالت ألا يا اسمع أعظك بخطبة فقلت سمعنا فانطقي وأصيبي

يعني: ألا يا هذا اسمع، وأنشد سيبويه لحذف المنادى مع ذكر أداته، قول الشاعر:

يا لعنة الله والأقوام كلّهم والصالحين على سمعان من جار

بضمّ التاء من قوله: لعنة الله، ثم قال: فيالغير اللعنة، يعني أن المراد: يا قوم لعنة الله، إلى آخره وأنشد صاحب اللسان لحذف المنادى، مع ذكر أداته مستشهدًا لقراءة الكسائي المذكورة، قول الشاعر:

يا قاتل الله صبيانًا تجيء بهم أم الهنينين من زندلها وارى

ثم قال: كأنه أراد: يا قوم قاتل الله صبيانًا، وقول الاخر:

يا من رأى بارقًا أكفكفه بين ذراعي وجبهة الأسد

ثم قال: كأنه دعا يا قوم يا إخوتي، فلمّا أقبلوا عليه قال: من رأى. وأنشد بعضهم لحذف المنادى مع ذكر أداته، قول عنتره في معلّقته:

يا شاة ما قنص لمن حلّت له حرمت على وليتها لم تحرم

قالوا: التقدير: يا قوم انظروا شاة ما قنص.

واعلم أن جماعة من أهل العلم، قالوا: إن يا على قراءة الكسائي، وفي جميع الشواهد التي ذكرنا ليست للنداء، وإنما هي للتنبيه، فكل من ألا ويا: حرف تنبيه كرّر للتوكيد، وممّن روي عنه هذا القول: أو الحسن بن عصفور، وهذا القول اختاره أبو حيّان في البحر المحيط، قال فيه: والذي أذهب إليه أن مثل هذا التركيب الوارد عن العرب ليست يا فيه للنداء، وحذف المنادى؛ لأن المنادى عندي لا يجوز حذفه، لأنه قد حذف الفعل العامل في النداء، وانحذف فاعله لحذفه، ولو حذف المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء، وحذف متعلّقه، وهو المنادى، فكان ذلك إخلالًا كبيرًا، وإذا أبقينا المنادى ولم نحذفه كان ذلك دليلًا على العامل فيه جملة النداء، وليس حرف النداء حرف جواب كنعم، ولا، وبلى وأجل، فيجوز حذف الجمل بعدهنّ لدلالة ما سبق من السؤال على الجمل المحذوفة، فيا عندي في تلك التراكيب حرف تنبيه أكد به ألا التي للتنبيه، وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التوكيد، وإذا كان قد وجد التوكيد في اجتماع الحرفين المختلفي

اللفظ، العاملين في قوله: فأصبحن لا يسألنني عن بما به، والمتفقي اللفظ العاملين في قوله:

ولا للما أبدًا دواء ....

وجاز ذلك، وإن عدوه ضرورة أو قليلًا، فاجتماع غير العاملين وهما مختلفا اللفظ يكون جائزًا، وليس يا في قوله:

يا لعنة اللّه والأقوام كلّهم ....

حرف نداء عندي، بل حرف تنبيه جاء بعده المبتدأ، وليس مما حذف منه المنادى، لما ذكرناه. انتهى الغرض من كلام أبي حيان، وما اختاره له وجه من النظر.

قال مقيده -عفا الله عنه وغفر له-: وممّا له وجه من النظر عندي في قراءة الكسائي، أن يكون قوله: يا اسجدوا فعل مضارع حذفت منه نون الرفع، بلا ناصب، ولا جازم، ولا نون توكيد، ولا نون وقاية.

قلتُ: ويكون أصل الكلام «ألا يسجدون» فحذفت منه نون الرفع، وليست الياء في «يسجدوا» للتنبيه بل هي حرف المضارعة.

قال الشنقيطي: وقد قال بعض أهل العلم: إن حذفها لا لموجب، مما ذكر لغة صحيحة.

قال النووي في «شرح مسلم» في الجزء السابع عشر في صفحة ٢٠٧ ما نصه: قوله: يا رسول الله ﷺ كيف يسمعوا وأنىّ يجيبوا، وقد جيفوا، كذا هو في عامة النسخ، كيف يسمعوا، وأنّى يجيبوا من غير نون، وهي لغة صحيحة، وإن كانت قليلة الاستعمال وسبق بيانها مرّات. ومنها الحديث السابق في «الإيمان»: «**لا تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا**» انتهى منه. وعلى أن حذف نون الرفع لغة صحيحة، فلا مانع من أن يكون قوله تعالى: «يسجدوا»، في قراءة الكسائي فعل مضارع، ولا شكّ أنّ هذا له وجه من النظر.

قلتُ: ويؤيده أنّ التوجيه الذي ذكروه يقتضي مخالفة رسم المصحف، فكلمة «يسجدوا» قد رسمت على أنها كلمة واحدة، فما ذكره الشنقيطي آخرًا هو الراجح، وعليه فلا يجوز الوقف على «يا».

قال الشنقيطي: تنبيهان **الأول-** اعلم أن التحقيق أن آية «النمل» هذه، محل سجدة على كلتا القراءتين، لأن قراءة الكسائي فيها الأمر بالسجود، وقراءة الجمهور فيها ذمّ تارك السجود وتوبيخه، وبه تعلم أن قول الزجاج ومن وافقه أنها ليست محل سجدة على قراءة الجمهور؛ وإنما هي محل سجود على قراءة الكسائي خلاف التحقيق، وقد نبه على هذا الزمخشري وغيره.

الثاني- اعلم أنه على قراءة الجمهور لا يحسن الوقف على قوله «لا يهتدون» وعلى قراءة الكسائي يحسن الوقف أ.هـ.

قلتُ: السُّنَّة الوقوف عند نهاية كل آية مطلقًا، والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر «إنِّيَ أُلقي» وقرأ الباقون «إنِّيْ أُلقي».

التوجيه: قرئ «إنِيْ ألقي» بإسكان الياء على الأصل في ياء الإضافة وقرئ بفتحها على التخفيف لثقل إسكان الياء، ولعل وجه القراءتين أنّ قراءة «إنِيْ» بالإسكان تفيد – لما فيها من إلصاقٍ للياء – أنها علمت من هذا الكتاب أنها هي المرادة والمقصودة الأولى فإنها لو أسلمت لأسلم قومها، كما تفيد اهتمامها بهذا الكتاب وانشغالها به حتى أنها جعلت الكتاب ملقىً إليها دون قومها مع أنّ الكتاب فيه خطاب الجميع ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١]. وقراءة «إنَّيَ» تفيد أنها كانت تعلم أنّ الكتاب فيه دعوة جميع قومها إلى الإسلام وإن كانت هي المخصوصة والمقصودة الأولى والله أعلم.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل: ٣٦]

القراءات: قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر وصلًا وابن كثير وصلًا ووقفًا «أتمددونني» وقرأ حمزة ويعقوب «أتمدونِّي» وقرأ الباقون «أتمدونن».

التوجيه: قراءة الجمهور بنونين على أصل الكلمة، وقراءة حمزة بنون واحدة على الإدغام، إلاّ أنّ بعض من قرأها بنونين أثبت الياء على أصل الكلمة، وبعضهم حذف الياء واجتزأ عنها بالكسرة.

قال تعالى: ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَا﴾ [النمل: ٤٤]

القراءات: قرأ قنبل «سأقيها» وقرأها الباقون «ساقيها».

التوجية: **قال ابن عاشور:** قراءة قنبل بهمزة ساكنة بعد السين عوضًا عن الألف على لغة من يهمز حرف المد إذا وقع وسط الكلمة، ومنه قول جرير:

لَحب المُؤقِدانِ إلىّ مؤسى . . . .

فهمز: المُؤقِدانِ ومؤسى. اهـ. وسيأتي مزيد كلام في سورة (ص) إن شاء الله.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [النمل: ٤٩]

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر «لَتُبيتُنَّه» بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء، «لتقولُنّ» بتاء الخطاب وضم اللام، وقرأ الباقون «لنبيتنه» بنون العظمة وفتح التاء «لنقولن» بنون العظمة وفتح اللام، «مهلك»، قرأ شعبة بفتح الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام.

التوجيه: قوله «مهلك أهله» **قال الشنقيطي**: فعلى قراءة من قرأ «مَهْلِكَ» بفتح الميم، فهو مصدر ميمي من هلك الثلاثي، ويحتمل أن يكون اسم زمان أو مكان، وعلى قراءة من قرأ «مُهْلِكَ» بضم الميم، فهو مصدر ميمي من أهلك الرباعي، ويحتمل أن يكون أيضًا اسم مكان أو زمان.

فائدة: قال الألوسي: «ما شهدنا مهلك أهله»، أي ما حضرنا هلاكهم على أن «مهلك» مصدر كمرجع أو مكان هلاكهم على أنه للمكان أو زمان هلاكهم على أنه للزمان. والمراد نفي شهود الهلاك الواقع فيه واختاروا نفي شهود مهلك أهله على نفي قتلهم إياهم قصدًا للمبالغة، كأنهم قالوا ما شهدنا ذلك، فضلًا على أن نتولى إهلاكهم. ويعلم في ذلك نفي قتلهم صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا، لأن من لم يقتل أتباعه كيف يقتله، وقيل في الكلام حذف، أي ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه، واستظهره أبو حيان ثمّ قال: وحذف مثل هذا المعطوف جائز في الفصيح كقوله تعالى ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ أي، والبرد، وقال الشاعر:

فما كان بين الخير لو جاء سالمًا ... أبو حجر إلا ليال قلائل

أي بين الخير وبيني أهـ وفيه ما لا يخفى.

قوله تعالى ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾، ﴿لَنَقُولَنَّ﴾ قراءة النون – نون العظمة – تفيد عظيم مكرهم وعظيم تجبرهم فيما عزموا عليه، كما تفيد تكبرهم وتجبرهم وتعاظمهم في أنفسهم، وقراءة التاء تفيد أنّ السادة خاطبوا الأتباع بذلك، وأمروهم بذلك، وخطابهم لهم بذلك على سبيل الخبر وليس على سبيل الأمر، مع أنهم قصدوا أمرهم بذلك، يفيد عظيم اتباع هؤلاء الأتباع لسادتهم، عياذًا بالله من هذه التبعية العمياء.

وقال ابن جرير: ويتوجه قوله «تَقَاسَمُوا بالله» إلى وجهين: أحدهما النصب على وجه الخبر كأنه قيل: قالوا متقاسمين، وقد ذُكر أنّ ذلك في قراءة عبد الله «وَلَا يُصْلِحُونَ

تَقَاسَمُوا بالله» وليس فيها قالوا: فذلك من قراءته يدل على وجه النصب في تقاسموا على ما وصفت، والوجه الآخر: الجزم كأنهم قال بعضهم لبعض أقسموا بالله، فعلى هذا الوجه الثاني تصلح قراءة «لَنُبَيِّتَنَّهُ» بالياء والنون لأن القائل لهم تقاسموا وإن كان هو الآمر، فهو فيمن أقسم كما يقال في الكلام: انهضوا بنا نمض إلى فلان وانهضوا نمض إليه، وعلى الوجه الأول: الذي هو وجه النصب: القراءة فيه بالنون أفصح، لأن معناه قالوا متقاسمين لنبيتنه، وقد تجوز الياء على هذا الوجه، كما يقال في الكلام، قالوا: لنكرمنّ أباك وليكرمنّ أباك، وبالنون قرأ ذلك قراء المدينة وعامة قراء البصرة وبعض الكوفيين وأما الأغلب على قراء أهل الكوفة، فقراءته بالياء وضم التاء جميعًا وأما بعض المكيين، فقرأه بالياء، وأعجب القراءات في ذلك إليّ النون، لأن ذلك أفصح الكلام على الوجهين اللذين بيَّنت من النصب والجزم وإن كان كلُّ ذلك صحيحًا غير فاسد لما وصفت، وأكرهها إليّ القراءة بها الياء لقلة قارئ ذلك كذلك.

قلتُ: قراءة الياء غير متواترة، وقد ذكر **ابن عاشور** توجيه قراءتي النون والتاء، فقال: وقرأ الجمهور «لنبيتنه» بنون الجماعة وفتح التاء التي قبل نون التوكيد، وقرأه حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب في أوله وبضم التاء الأصلية قبل نون التوكيد وذلك على تقدير: أمر بعضهم لبعض، وهكذا قرأ الجمهور «لنقولن» بنون الجماعة في أوله وفتح اللام وقرأه حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب وبضم اللام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

[النمل: ٥١]

القراءات: «أنا دمرناهم» قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر، بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسر الهمزة على الاستئناف.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «إنا دمرناهم» بكسر الهمزة، وقرئ بفتحها، فمن قرأ بكسرها فعلى أنّ قوله تعالى «أنا دمرناهم» استئناف، ومن قرأ بالفتح جعله بدلًا من العاقبة، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي فدمرهم أو نصبه على معنى لأنا أو على أنه خبر كان أي كان عاقبة مكرهم الدمار.

وقال الشنقيطي: وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر «إنا دمرناهم» بكسرة همزة «إنا» على الاستئناف وقرأه الكوفيون وهم عاصم وحمزة والكسائي ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بفتح همزة «أَنَّا» وفي إعراب المصدر المنسبك من أن وصلتها على قراءة الكوفيين أوجه؛ منها أنه بدل من عاقبة مكرهم، ومنها أنه خبر مبتدأ محذوف، وتقديره هي، أي عاقبة مكرهم تدميرنا إياهم، وهذان الوجهان هما أقرب الأوجه عندي للصواب، ولذا تركنا غيرهما من الأوجه.

وقال ابن جرير: واختلف القراء في قراءة قوله «إنَّا»، فقرأ بكسرها عامة قراء الحجاز والبصرة على الابتداء، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بفتح الألف، وإذا فتحت كان في «أَنَّا» وجهان من الإعراب: أحدهما الرفع على ردّها على العاقبة على الإتباع لها، والآخر النصب على الردّ على موضع كيف؛ لأنها في موضع نصب إن شئت، وإن شئت على تكرير كان عليها على وجه، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم؟ كان عاقبة مكرهم تدميرَنا إياهم. **قال أبو جعفر**: والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار، متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقال الزمخشري: من قرأ «إنا دمرناهم» بكسر الهمزة فعلى الاستئناف، ومن قرأ بالفتح رفعه بدلًا من العاقبة، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي تدميرهم، أو نصبه على معنى لأنّا أو على أنه خبر كان، أي: كان عاقبة مكرهم الدمار.

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «إنا دمرناهم» بكسر الهمزة، فتكون الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لما يثيره الاستفهام في قوله «كيف كان عاقبة مكرهم» من سؤالٍ عن هذه الكيفية. والتأكيد للاهتمام بالخبر، وقرأه عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بفتح الهمزة، فيكون المصدر بدلًا من «عاقبة» والتأكيد أيضًا للاهتمام. وضمير الغيبة في «دمرناهم» للرهط وعطف «قومهم» عليهم لموافقة الجزاء للمجزى عليهم لأنهم مكروا بصالح وأهله فدمرهم الله وقومهم، والتدمير: الإهلاك الشديد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [النمل: ٥٧].

القراءات: قرأ شعبة «قَدَرْنَاها»، وقرأ الباقون «قَدَّرْنَاها»

التوجيه: قال القرطبي: قرئ «قدرناها» مخففًا، و«قدَّرناها» بتشديد الدال، والمعنى واحد، يقال: قد قَدَرت الشيء قَدْرًا وقَدَرًا وقدّرته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩]

القراءات: «أما يشركون»، قرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بياء الغيبة، وقرأ الباقون بتاء الخطاب.

التوجيه: قرئ «يشركون» بالياء إعراضًا عن مخاطبة المشركين لشركهم وكفرهم، فهم لا يستحقون مخاطبة الله، فمخاطبة الله لهم -كما في قراءة التاء «تشركون»- إنما هو خطاب غضبٍ وسخطٍ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]

القراءات: «تذكرون» قرأ أبو عمرو وهشام وروح بياء الغيب على الالتفات، وقرأ الباقون بتاء الخطاب، وقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بتخفيف الذال والباقون بتشديدها.

openkanal.com

التوجيه: قال ابن عاشور: والتذكر من الذكر بضم الذال وهو ضد النسيان فهو استحضار المعلوم أي قليلًا استحضاركم الافتقار إلى الله وما أنتم فيه من إنعامه، فتهتدوا بأنه الحقيق بأن لا تشركوا معه غيره، فالمقصود من التذكر؛ التذكر المفيد استدلالًا و «ما» مصدرية والمصدر هو فاعل «قليلًا». وأصل «تذكرون» تتذكرون، فأدغمت تاء التفعيل في الذال لتقارب مخرجيهما تخفيفًا وهو إدغام سماعي، وقرأ الجمهور «تذكرون» بتاء الخطاب، وقرأه روح عن أبي عمرو وهشام عن ابن عامر بياء الغيبة على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، ففي قراءة الجمهور نكتة توجيه الخطاب إلى المشركين مكافحة لهم وفي قراءة روح وهشام نكتة الإعراض عنهم؛ لأنهم استأهلوا الإعراض بعد تذكيرهم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النمل: ٦٦]

القراءات: «بل ادراك» قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر «ادارك» بهمزة وصل وتشديد الدال وألف بعدها على أن أصله «تدارك» أبدلت التاء دالًا، وأدغمت في الدال ثمّ أتي بهمزة الوصل توصلًا إلى نطق الساكن، وقرأ الباقون «أدرك» بهمزة قطع مفتوحة وإسكان الدال مخففة وبلا ألف بعدها.

التوجيه: قال الشنقيطي: قرأه عامة السبعة، وغير ابن كثير وأبي عمرو: «بل ادارك» بكسر اللام من «بَلِ» وتشديد الدال بعدها ألف والألف التي قبل الدال همزة وصل، وأصله: تدارك بوزن: تفاعل، وقد قدّمنا وجه الإدغام، واستجلاب همزة الوصل في تفاعل وتفعل وأمثلة ذلك في القرءان، وبعض شواهد العربية في سورة «طه» في الكلام على قوله تعالى ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٥]. وقرأه ابن كثير وأبو عمرو «بل أدرك» بسكون اللام من «بَلْ» وهمزة قطع مفتوحة، مع سكون الدال على وزن: أفعل والمعنى على قراءة الجمهور: «بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ»، أي: تدارك بمعنى تكامل وكقوله ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وعلى قراءة ابن كثير وأبي عمرو «بَلْ أَدْرَكَ»، قال البغوي: أي بلغ ولحق، كما يقال: أدرك علمي إذا لحقه وبلغه، والإضراب في قوله تعالى:

﴿ بَلِ ادَّارَكَ ﴾ و﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ ﴾ و ﴿ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ إضراب انتقالي.

وقال ابن عاشور: والذي أراه في تفسيرها على هذا الاعتبار اللغوي أن معنى التدارك هو أن علم بعضهم لحق علم بعضٍ آخر في أمر الآخرة؛ لأن العلم وهو جنس لما أضيف إلى ضمير الجماعة حصل من معناه علوم عديدة بعدد أجناس الجماعات التي هي مدلول الضمير، فصار المعنى: تداركت علومهم بعضها بعضًا. وذلك صالح لمعنيين: **أولهما-** أن يكون التدارك وهو التلاحق الذي هو استعمال مجازي يساوي الحقيقة، أي تداركت علوم الحاضرين مع علوم أسلافهم أي تلاحقت وتتابعت، فتلقَّى الخلف عن السلف علمهم في الآخرة وتقلدوها من غير بصيرة ولا نظر، وذلك أنهم أنكروا البعث، ويشعر بذلك قوله تعالى عقبه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٧]، وقريب من هذا قوله تعالى في سورة المؤمنين ﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ **الوجه الثاني-** أن يكون التدارك مستعملًا مجازًا مرسلًا في الاختلاط والاضطراب؛ لأن التدارك والتلاحق يلزمه التداخل كما إذ لحقت جماعة من الناس جماعة أخرى، أي لم يرسوا على أمر واختلفت أقوالهم اختلافًا يؤذن بتناقضها، فهم ينفون البعث ثمّ يزعمون أنّ الأصنام شفعاؤهم عند الله من العذاب وهذا يقتضي إثبات البعث ولكنهم لا يعذبون ثمّ يتزودون تارة للآخرة ببعض أعمالهم التي منها: أنهم كانوا يحبسون الراحلة على قبر صاحبها ويتركونها لا تأكل ولا تشرب حتى تموت، فيزعمون أن صاحبها يركبها ويسمونها البلية؛ فذلك من اضطراب أمرهم في الآخرة. وفعل المضي على هذين الوجهين على أصله وحرف «في» على هاذين الوجهين في تفسيرها على قراءة الجمهور مستعمل في السببية، أي بسبب الاخرة.

ويجوز وجه آخر وهو أن يكون «ادّارك» مبالغة في «أدرك» ومفعوله محذوفًا تقديره: إدراكهم أي حصل لهم علمهم بوقت بعثهم في اليوم الذي يبعثون فيه أي يومئذ يوقنون

بالبعث، فيكون فعل المضي مستعملًا في معنى التحقق، ويكون حرف «في» على أصله من الظرفية. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر «بل أدرك» بهمزة قطع وسكون الدال ومعناه انتهى علمهم في الآخرة، يقال أدرك: إذا فَنِي، وفي ثبوت معنى فَنِي لفعل أدرك خلاف بين أئمة اللغة فقد أثبته ابن المظفر في رواية شمر عنه قال شمر: ولم أسمعه لغيره، وأثبته الزمخشري في الكشاف في هذه الآية وصاحب القاموس، وقال أبو منصور: هذا غير صحيح في لغة العرب وما علمت أحدًا قال: أدرك الشئ إذا فَنِي، وأقول قد ثبت في اللغة أدركت الثمار وإذا انتهى نضجها ونسبه في تاج العروس للّيثِ ولابن جني وحسبك بإثبات هؤلاء الأثبات قال الكواشي في تبصرة المتذكر: المعنى فَنِي علمهم في الآخرة من أدركت الفاكهة إذا بلغت النضج وذلك مؤذن بفنائها وزوالها. فحاصل المعنى على قراءة الجمهور «وما يشعرون أيان يبعثون»، وقد تلقى بعضهم عن بعض ما يعلمونه في شأن الآخرة، وهو ما اشتهر عنهم من إنكار الحياة الآخرة. أو قد اضطرب ما يعلمونه في شأن الآخرة وأنهم سيعلمون ذلك لا محالة في يوم الدار الآخرة. وحاصل المعنى على قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر: ما يشعرون أيان يبعثون فإنهم لا علم لهم بالحياة الآخرة أي جهلوا الحياة الآخرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴾

[النَّمل : ٦٧]

القراءات: «إذا كنا ..... أئنا» قرأها هكذا نافع وأبو جعفر وسهل الثانية مع ألف بينهما قالون وأبو جعفر وبدون ألف ورش. وقرأها «أئذا كنا ..... إننا» ابن عامر والكسائي ويحقق الأولى مع الإدخال هشام وابن ذكوان والكسائي يحققان من غير إدخال. وقرأها «أئذا كنا ..... أئنا» الباقون، وكلٌّ على أصله، فابن كثير ورويس بالتسهيل من غير إدخال وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال وعاصم وحمزة وروح وخلف بالتحقيق من غير إدخال.

التوجيه: قال الألوسي: وتكرير الهمزة في «أئنا» للمبالغة والتشديد في الإنكار، وتحلية الجملة بأن واللام لتأكيد لا لإنكار التأكيد، كما يوهمه ظاهر النظم الكريم، فإنّ تقديم الهمزة لأصالتها في الصدارة، والضمير في «أئنا»، بالجمع بين الاستفهامين، وقلب الثانية ياءً وفصل بينهما بألف أبو عمرو. وقرأ نافع –إذا– بهمزة واحدة مكسورة، فهمزة الاستفهام مقدرة مع الفعل للمقدر، لأن المعنى ليس على الخبر.

وقال ابن عاشور: وقرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة بهمزتين في «أإذا – وأإننا» على اعتبار تكرير همزة الاستفهام في الثانية لتأكيد الأولى، إلا أن أبا عمرو خفف الثانية من الهمزتين في الموضعين وعاصمًا وحمزة حققاهما. وهؤلاء كلهم حذفوا نون المتكلم بعد نون «إن». وقرأ ابن عامر والكسائي: «أإذا» بهمزتين و «إننا» بهمزة واحدة وبنونين اكتفاء بالهمزة الأولى للاستفهام، وكلها استعمال فصيح.

وقال القرطبي: قال أبو جعفر النحاس: القراءة ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ موافقة للخط حسنة وقد عارض فيها أبو حاتم فقال، وهذا معنى كلامه: «إذا» ليس باستفهام «وأئِنَّا» استفهام، وفيه «فكيف يجوز أن يعمل ما في حيز الاستفهام فيما قبله»؟ وكيف يجوز أن يعمل ما بعد «إنّ» فيما قَبلها؟! وكيف يجوز غدًا إنّ زيدًا خارج؟! فإذا كان فيه استفهام كان أبعد وهذا إذا سئل عنه كان مشكلًا لما ذكره، وقال أبو جعفر: وسمعت محمد بن الوليد يقول: سألنا أبا العباس عن آية من القرآن صعبة مشكلة، وهي قول الله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، فقال: إن عمل في «إذا» «ينبئكم» كان محالًا، لأنّه لا ينبئهم ذلك الوقت، وإن عمل فيه ما بعد «إن» كان المعني صحيحًا وكان خطأً في العربية أن يعمل ما قبل «إن» فيما بعدها، وهذا سؤال بيّن رأيت أن يذكر في السورة التي هو فيها؛ فأما أبو عبيد فمال إلى قراءة نافع وردّ على من جمع بين استفهامين، واستدل بقوله تعالى ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وبقوله تعالى

﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وهذا الرد على أبي عمرو وعاصم وحمزة وطلحة والأعرج، لا يلزم منه شيء، ولا يشبه ما جاء به من الآية شيئًا، والفرق بينهما أن الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد، ومعنى ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ أفأن مت خلدوا. ونظير هذا أزيد منطلق، ولا يقال: أزيد أمنطلق، لأنها بمنزلة شيء واحد، وليس كذلك الآية، لأن الثاني جملة قائمة بنفسها، فيصلح فيها الاستفهام والأول كلام يصلح فيه الاستفهام، فأما من حذف الاستفهام من الثاني، وأثبته في الأول، فقرأ «أئذا كنا تُرابا وآباؤنا إنَّنا»، فحذفه من الثاني، لأنّ في الكلام دليلًا عليه بمعنى الإنكار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل: ٧٠]

القراءات: «ضيق» قرأ ابن كثير بكسر الضاد، والباقون بفتحها.

التوجيه: قال الزمخشري: المعنى: لا تكن في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك، ولا تبال بهم، فإنّ الله يعصمك، يقال: ضاق الشيء ضِيقًا وضَيقًا بالفتح والكسر، وقد قرئ بهما، والضيق أيضًا تخفيف الضيّق، قال تعالى: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويجوز أن يراد: لا تكن في أمرٍ ضيّق من مكرهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]

القراءات: قرأ ابن كثير «يسمع» بياء مفتوحة مع فتح الميم و«الصم» برفع الميم وقرأ الباقون «تسمع» بتاء مضمومة مع كسر الميم «الصم»، بفتح الميم.

التوجيه: قرئ «لا تُسمع» بتاء مضمومة مع كسر الميم لإخبار الرسول ﷺ بأنّ المشركين الذين يدعوهم كالصمّ فلن يُسمعهم الرسول - إسماعًا يستحيبون به، مهما فعل، والمراد الذين ختم الله على قلوبهم وكتب عليهم الشقاوة والكفر بخلاف من كتب الله لهم السعادة فأسلم وآمن به بعد شركه، وقراءة «يسمع»

بالياء المفتوحة للدلالة على أنّ عدم سماع المشركين لدعوة الحق وعدم استجابتهم له ليس لتقصير رسول الله ﷺ في الدعوة ولكن لأنهم أصلًا لا يسمعون النصح، فهم لا يستجبون للحق أصلًا سواء منه أو من غيره ﷺ .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ [النمل: ٨١]

القراءات: قرأ حمزة «تهدي» بتاء وإسكان الهاء من غير ألف «العمي» بالنصب ووقف على «تهدي» بالياء موافقةً للرسم، وقرئ الباقون «بهادي» بياء مكسورة وفتح الهاء والألف على أن الباء حرف جر لـ «هاد» و «العمي» بالجر على الإضافة، ووقف الجميع «بهادي» بالياء موافقة للرسم.

التوجيه: قرئ «تهدي» و «العميَ» على أنه مفعول به، وقرئ «بهادي» و«العميِ» على أنه مضاف، والقراءتان متكاملتان، فاسم الفاعل «بهادي» يدل على تمكن الفاعل من الفعل وقوة اتصافه بأداءه، وصيغة الفعل تدل على حصول الفعل والمضارعة تدل على الاستمرار، فالآية بقراءتيها تنفي عن رسول الله ﷺ أن يكون متمكنًا أو قادرًا على هداية من طبع الله على قلبه كما تفيده قراءة «بهادي» وتنفي عنه كذلك أن يكون هاديًا لأحد هؤلاء –ولو لمرة– وتدل على ذلك قراءة «تهدي».

لطيفة: لم يقرأ أحد عند الوقف «بهادٍ» بدون ياء لأنّ حذف الياء يدل على مزيد النفي، فلم يناسب أن تقرأ «بهاد» عند الوقف عليها لأنّ الرسول – وإن لم يكن قادرًا على إيجاد الهداية في القلوب – إلا أنّه يهدي هداية الإرشاد والدلالة فلم يناسب النفي المطلق «بهاد» ولكن عند الوصل قرئت «بهاد العمي» و «بهاد العمي»؛ لأن إضافة «العمي» إلى «بهاد» يدل على أنّ النفي نفيٌ لهداية مخصوصة وهي هداية العمي الذين طبع الله على قلوبهم، فأكرم بحلاوة القرءان!!

تنبيه: يعتبر مثل هذا التوجيه في آية الروم ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [الرُّوم: ٥٣] التى قرأها حمزة «تهدي العمَي»، وقرأها الباقون «بهادي العمَي».

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النَّمل: ٨٢]

القراءات: «أنّ النّاس» قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسر الهمزة على الاستئناف.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «إنّ النّاس» بكسر همزة «إنّ» وموقع «إنّ» في مثل هذا التعليل، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي «أنّ النّاس» بفتح الهمزة وهي أيضًا للتعليل؛ لأنّ فتح همزة «أنّ» يؤذن بتقدير حرف جر، وهو باء السببية، أي تكلمهم بحاصل هذا وهو المصدر. والمعنى أنها تسجل على الناس وهم المشركون عدم تصديقهم بآيات الله وهو تسجيل توبيخ وتنديم، لأنهم حينئذ قد وقع القول عليهم ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وحمل هذه الجملة على أن تكون حكاية لما تكلمهم به الدابة بعيد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النَّمل: ٨٧]

القراءات: «أتوه» قرأ حفص وحمزة وخلف العاشر بقصر الهمزة، وفتح التاء، وقرأ الباقون بمد الهمزة وضم التاء.

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ «أتوه» بصيغة فعل الماضي، فهو كقوله «ففزع»، وقرئ «آتُوه» بضم التاء بصيغة اسم الفاعل من «أتى» **قلتُ:** وهي جمع «آتٍ».

obeikandl.com

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]

القراءات: «تفعلون» قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وشعبة بخلف عنهما بياء الغيبة، وقرأ الباقون بتاء الخطاب على الالتفات، وهو الوجه الثاني لابن عامر وشعبة.

التوجيه: قرئ بالياء «يفعلون» إعراضًا عن مخاطبة المكذبين المذكورين في قوله تعالى قبل هذه الآية ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَـٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [النمل: ٨٣، ٨٦]، فهم لتكذيبهم لا يستحقون مخاطبة الله، لهم ومخاطبتهم (كما في قراءة التاء «تفعلون») إنما هو خطاب غضبٍ وسخطٍ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله «تفعلون» على قراءة التاء جميع الخلق، ففيها التبشير للمؤمنين والتهديد للمكذبين.

قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [النمل: ٨٩]

القراءات: «فزعٍ يومَئِذٍ» قرأها نافع وأبو جعفر. «فزعٍ يومئذٍ» قرأها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب، وقرأ الباقون «فزعٍ يَومَئِذٍ».

قال الزمخشري: وقرئ «يومَئذ» مفتوحًا مع الإضافة، لأنه أضيف إلى غير متمكن ومنصوبًا مع تنوين فزع، فإن قلتَ: ما الفرق بين الفزعين؟ قلتُ: الفزع **الأول-** هو ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدةٍ تقع وهولٍ يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به، كما يدخل الرجل على الملك بصدرٍ هيّابٍ، وقلبٍ وجّابٍ «أي مضطرب» وإن كانت ساعةَ إعزازٍ وتكرمةٍ وإحسانٍ وتوليةٍ وأما **الثاني-** فالخوف من العذاب فإن قلتُ: فمن قرأ «من فزعٍ» بالتنوين ما معناه؟ قلتُ: يحتمل معنيين: من فزع واحد وهو خوف العقاب، وأما ما يلحق الإنسان من التهيب والرعب لما يرى من الأهوال

والعظائم، فلا يخلون منه، لأنّ البشرية تقتضي ذلك وفي الأخبار والآثار ما يدل عليه، ويحتمل: من فزعٍ شديدٍ مفرط الشدة لا يكننهه الوصف؛ وهو خوف النار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[النَّمل: ٩٣]

القراءات: «تعملون» قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب بتاء الخطاب، وقرأ الباقون بياء الغيب على الالتفات.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقوله «وما ربك بغافل عما تعملون» قرأه نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب «تعملون» بتاء الخطاب، فيكون ذلك من تمام ما أمر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بأن يقوله للمشركين، وفيه زيادة إنذار بأنّ أعمالهم تستوجب ما سيرونه من الآيات. وقرأ الباقون «يعملون» بياء الغيبة، فهو عطف على «قل» والمقصود تسلية الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما أمر به من القول بأنّ الله أحصى أعمالهم وأنّه مجازيهم عنها، فلا ييأس من نصر الله.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com